أخبار الخليج
العدد (٩٠٤١) الثلاثاء ٢٠ شوال ١٤٢٣ هـ ـــ ٢٤ ديسمبر ٢٠٠٢م

المنطقة العربية بعد احتلال العراق .. عصر الهيمنة الإمبراطورية الأمريكية

بقلم:
سميرة رجب

نبدأ من حيث انتهى إليه جيمس وولسي، رئيس المخابرات المركزية الامريكية السابق، في حديثه، الاسبوع الماضي الى مجموعة من الطلاب الجامعيين في الولايات المتحدة الامريكية قائلا:«إننا نخوض حرباً عالمية رابعة (واصفا الحرب الباردة بالحرب العالمية الثالثة)، وهي حرب نشر الديمقراطية في الشرق الاوسط، فلابد لحكومات دول مثل مصر والسعودية ان تشعر بالقلق لأن الديمقراطية وفق الاسلوب الامريكي قادمة لشعوبهم، وان هذه الحرب سوف تستمر لفترة طويلة ضد الاعداء الثلاثة الذين يشنون حربا ضد الولايات المتحدة منذ سنوات طويلة وتنبهت لهم الولايات المتحدة أخيراً، وهم حكام ايران الدينيون، و«الفاشستيون» في العراق وسوريا، والمتطرفون الاسلاميون مثل تنظيم اسامة بن لادن». هذا التعريف بأهدافها، وتحت شعار «حرب نشر الديمقراطية الامريكية» في المنطقة العربية تنفذ الولايات المتحدة، في الوقت الراهن اهم واخطر بند في استراتيجية تأمين وتوسيع مناطق الامن الامريكي في العالم مما يؤمن لها اعتراض صعود قوة عظمى جديدة منافسة للقطب الامريكي الأوحد في العالم، مثل الصين.

ان توسيع مناطق الأمن الامريكي يعني من الناحية الاخرى فرض الهيمنة الامريكية العسكرية والاقتصادية على اوروبا وشرق آسيا والشرق الاوسط، وإضعاف الامن القومي العربي بما يجعل المنطقة العربية بشكل عام تحت سيطرة الادارة الامريكية مباشرة، ولتحقيق كل ذلك عملت الولايات المتحدة خلال فترة ادارة الرئيس جورج دبليو بوش على خلق الظروف المطلوبة لتحقيق اهدافها (احداث ١١ سبتمبر وشبح الارهاب). على هذا الاساس تتعامل الولايات المتحدة بعجالة شديدة، وقبل فوات الاوان، مع معظم القضايا في هذه المناطق بالقوة العسكرية خارج الشرعية الدولية بدعوى الحروب الوقائية والاستباقية لحماية وتوسيع مناطق امنها القومي.

> «... خلال تلك الأعوام عوام الثلاثة عشر تم التأكيد بما لا يدع مجالا للشك أن العراق خال تماما من جميع أنواع أسلحة الدمار الشامل، وبعد ذلك قاموا بقصف العراق».

قبل ان تنتهي الفرصة الدولية (الحرب على الارهاب) التي فرضتها الادارة الامريكية على العالم، بدأت الولايات المتحدة بتنفيذ سلسلة حروبها الوقائية والاستباقية (كما سمتها) خارج الشرعية الدولية أولا باحتلال افغانستان لتأمين منافذ آمنة لمصالحها النفطية في اسيا الصغرى، وبذلك تؤمن مصالحها في شرق آسيا قبل ان تفكر احدى القوى العظمى الموجودة في تلك المنطقة مثل الصين او الهند او اليابان في الامتداد الى هذه المناطق النفطية بحكم قربها الجغرافي. وقبل الانتهاء من فرض الامن والسلام في افغانستان والقضاء على بذور الارهاب هناك، كما تدعي الولايات المتحدة، كانت قد وضعت خطتها العسكرية لاحتلال كامل الارض العراقية للسيطرة على منابع النفط في العراق التي بدأتها بإرسال المفتشين الدوليين الى بغداد للتفتيش الدقيق جدا، للتأكد وضمان خلو العراق من جميع انواع اسلحة الدمار الشامل، التي يعد السلاح النووي اهمها واخطرها، كما قامت بزرع مختلف انواع اجهزة المخابرات والتجسس في العراق لملاحقة القيادة العراقية وقصفها والقضاء عليها وانهاء الحرب بالطريقة المافياوية التي تعرفها الولايات المتحدة جيداً وكما نفذتها في هذه الحرب البشعة.

لاتزال الغالبية العظمى من شعوب العالم لا تعلم كيف انتهت هذه الحرب وكيف حصل هذا الانهيار الكبير في الوضع العسكري العراقي وأين هي القيادة العراقية، كما لاتزال القيادة الامريكية تمارس التعتيم والتضليل في هذا المجال رغم ان وسائل اعلامها الخاصة كانت ولاتزال تسير خطوة بخطوة مع قواتها في البر والبحر والجو لتصوير جميع المعارك والتحركات العسكرية والشخصية من شمال العراق الى جنوبه سواء في ساحة القتال او في الاراضي والحدود والمنافذ البرية والبحرية والجوية العراقية، فهل فعلا لا تعلم الادارة الامريكية ماذا حدث في العراق في الفترة ما بين اليوم الخامس عشر من الحرب، يوم معركة المطار الى اليوم العشرين من حربها المدمرة على العراق وهل فعلا لا تعلم ان كانت القيادة العراقية لاتزال على قيد الحياة ام انها قد صفيت في الغارات المركزة والمكثفة التي قصفت بها بغداد وجميع المدن العراقية؟ وهل فعلا لا تعلم الادارة الامريكية ان كانت القيادة العراقية او من تبقى منهم هم في العراق او خارجه؟ وهل فعلا لا تعلم الادارة الامريكية من اين جاءت وكيف تتحرك هذه الجماعات الغوغائية في قافلات منظمة ومسلحة بين المدن العراقية وداخلها بهدف التدمير والترويع وارهاب الاعلاميين الموجودين في بغداد للحد من حركتهم، بعد ان حاصرت القوات الامريكية هؤلاء الاعلاميين في الفندق وفي المنطقة القريبة منه كي لا يتحركوا بحرية داخل بغداد للتعتيم على جميع الاخبار الى حين الانتهاء من المهمات الاساسية التي يقومون هم بها؟ واخيراً هل يمكن ان تكون القيادة الامريكية لا تعلم بكل ذلك رغم سيطرتها التامة على العراق برا وبحرا وجوا وبينما القوات الامريكية في بغداد مستمرة في عملياتها داخل المؤسسات والمنازل والمدن العراقية من دون توقف منذ استيلائها على هذه المدينة التي استبيح امن سكانها ومؤسساتها وتراثها وتاريخها وثقافتها.

منذ معركة المطار، يوم السبت ٥ ابريل ٢٠٠٣م، لا أحد يعلم ماذا حدث داخل بغداد وعلى مشارفها ومداخلها، حيث ان الاعلام العراقي لم يكن موجودا في ساحة المعركة لتوثيق الوقائع بالصور، وحيث ان الاعلام العربي والاجنبي الموجود داخل بغداد كان بعيدا عن دائرة المعارك (خوفا على سلامة مراسليه)، فأصبح كل ما حدث هناك، في أرض المعركة، غامضا الا لبعض الافراد الموجودين عن قرب أو لمن تسللوا لهذه المناطق لمعرفة الحقيقة، بالاضافة الى القيادة العراقية الغائبة حاليا، والقوات الامريكية واعلامهم الملازم لهم طوال ذلك الوقت. لذلك ظهرت مؤشرات وتحليلات كثيرة من بعض المتخصصين، الذين استطاعوا ان يحصلوا على بعض المعلومات، بأن معركة المطار كانت قاسية على الجانب الامريكي لدرجة كبيرة جدا مما دفعهم إلى استعمال السلاح التكتيكي غير التقليدي (سلاح الدمار الشامل) في ساحة المعركة، مما حول جميع المقاتلين العراقيين هناك الى قطع مفحمة ورماد، بعد انسحاب القوات الامريكية إلى الخلف للحفاظ على حياتهم. في هذه المعركة وفي معركة معسكر الرشيد تم القضاء على الغالبية العظمى من فرق الجيش العراقي وعتادهم، في الوقت الذي تم قصف القيادة العراقية بأربع قنابل، تزن كل واحدة ١٠٠٠ كيلوجرام، في اجتماع لهم في احدى مناطق حي المنصور يوم الاثنين ٧ ابريل ٢٠٠٣م، على اثر تسلم القيادة المركزية الامريكية اشارات من احد جواسيسهم المزروعين في مختلف مناطق العراق لهذه المهمة.

كل هذه المعلومات تعتم عليها قوات التحالف اعلاميا لعدة أسباب، أولا: لعدم اثارة الرأي العام العالمي الذي لايزال ثائرا ضد الولايات المتحدة وسياساتها في العالم، ثانيا: كإحدى وسائل الحرب النفسية على الشعب العربي، للمزيد من الاحباط والتراجع النفسي بسبب الشعور العميق بالهزيمة والخذلان، ثالثا: للمزيد من التشويه في تاريخ القيادة العراقية وعدم جعل الرئيس العراقي بطلا باستشهاده في ساحة المعركة وابقاء قصة وجود صدام حسين للمزيد من الممارسات الابتزازية الامريكية ضد حكومات المنطقة واستمرار شبح الارهاب المزعوم.

انتهت معركة بغداد وتم احتلال العراق، ومن كان يتصور عدم حدوث ذلك فانه لم يكن قادرا على قراءة الواقع. لقد تم التجهيز لهذه المعركة منذ أكثر من ثلاثة عشر عاما، منذ ان تراجعت قوات جورج بوش الاب عن الجنوب العراقي بعد ان كانت على مشارف بغداد في عام ١٩٩١م الذي فسره الكثيرون بان الرئيس الامريكي كان قد قرأ تاريخ هانيبال الذي دخل مع قواته لاحتلال بغداد وتمكن البغداديون من تقطيع أوصال هذه القوات والتمثيل بأجسادهم على أبوابها، فلم تكن النتائج بالنسبة إلى القوات الامريكية مضمونة، وخصوصا مع احتمال امتلاك العراق للأسلحة غير التقليدية، في ذلك الوقت. ولكن عام ٢٠٠٣م، أي بعد ثلاثة عشر عاما من معاناة الشعب العراقي من أبشع وأخطر حصار اقتصادي حصل على أي شعب على مدار التاريخ، وبعد ان أنهك هذا الشعب من الامراض والجوع والعزلة الاقتصادية، أصبح العراق المنهك من الضعف ما يؤهله لأن يكون الهدف الاول في جدول التغييرات الجديدة في برنامج اعادة تشكيل المنطقة العربية (استراتيجية توسيع دائرة الأمن القومي الامريكي). وخلال تلك الاعوام الثلاثة عشر تم ترتيب أوراق الانظمة العربية بالضغط والترهيب والترغيب لتقديم جميع الوسائل الممكنة لاحتلال العراق فكان للتواطؤ العربي بتقديم مختلف انواع الدعم اللوجستي والمعنوي والاستسلامي الدور الكبير في الاحتلال العسكري الامريكي للعراق. خلال تلك الاعوام الثلاثة عشر تم تنظيم مختلف الوسائل التجسسية والمخابراتية على الارض وفي عمق العراق لشراء الذمم وقنص القيادة العراقية ورصد كل ما يمكن ان يؤدي إلى تحقيق هذا الاحتلال. وخلال تلك الاعوام الثلاثة عشر تم التأكيد بما لا يدع مجالا للشك أن العراق خال تماما من جميع أنواع أسلحة الدمار الشامل.

وبعد ذلك قاموا بقصف العراق على مدار ٢٤ ساعة لمدة ٢١ يوما بآلاف الاطنان من مختلف أنواع الصواريخ والقنابل ومختلف أنواع الاسلحة المنوعة دوليا مثل القنابل العنقودية والحرارية وغير التقليدية وأسلحة منتجة حديثا فقط لاستعمالها في هذه المعركة وصواريخ توماهوك وكروز العابرة للقارات. وتم احتلال العراق وأصبحت مدينة المدائن العربية في قبضة قوات التحالف والصهاينة الذين نظموا ليس فقط لاحتلال العراق واستباحة مدنه، بل أدخلوا عليه جيشا من الحاقدين من منافذ عربية لحرق تاريخه وتراثه، وما كان هدم المتاحف العراقية وتدمير وسرقة آثار حضارات تمتد لفترة ٥٠٠٠ عام في التاريخ، وحرق المكتبة الوطنية العراقية ومكتبة الاوقاف المركزية ومكتبة بيت القرآن الكريم في بغداد التي تحوي نفائس المخطوطات والكتب والمراجع التاريخية العربية والاسلامية والعالمية الا دليل على مدى الحقد والكراهية الصهيونيين لهذا البلد وأهله وتاريخه الذي لا يمكن ان يفصله اليهود عن تاريخ الأسر البابلي الذي لايزال متعمقا في الثقافة والعقيدة اليهوديتين منذ ما يزيد على ثلاثة آلاف عام.

ومرة أخرى، وقبل الانتهاء من فرض الأمن والسلام في العراق، والقضاء على بذور الارهاب هناك، كما تدعي الولايات المتحدة، بدأت الادارة الامريكية بالتحرك السياسي نحو الامتداد للدول المجاورة للعراق التي هي على قائمة التغييرات المطلوبة في اعادة تشكيل المنطقة التي تسميها الادارة الامريكية توسيع مناطق الأمن الامريكي. ورغم تأكيدات كولن باول بعدم وجود خطط حربية أخرى لدى الولايات المتحدة، مشيرا الى سوريا وايران، فإن هاتين الدولتين موجودتان على قائمة توسيع مناطق الامن الامريكي، بعد العراق، ولكن من دون الوسائل العسكرية، اذ المطلوب من سوريا وايران السير في ركب السياسة الامريكية وتقديم التنازلات والبدء بمناقشة علاقاتهما مع اسرائيل ومع المنظمات (الارهابية) التي تحتضنانها والا فان الضغوط الامريكية لا حدود لها.

> «بدأت الادارة الامريكية بالتحرك السياسي نحو الامتداد للدول المجاورة للعراق التي هي على قائمة التغييرات المطلوبة في اعادة تشكيل المنطقة التي تسميها الادارة الامريكية توسيع مناطق الأمن الامريكي».

وعلى هذا المنوال تتقدم الآلتان العسكرية والسياسية الامريكيتان نحو باقي دول المنطقة بدءا بمنطقة الخليج الغنية نفطيا والضعيفة اداريا وسياسيا وديمقراطيا، مرورا بمصر والسودان وليبيا باتجاه خط النفط في القرن الافريقي وشمال افريقيا، لبسط النفوذ السياسي والعسكري والاقتصادي في المناطق التي تحد قارة اوروبا جنوبا، لاكمال بسط الهيمنتين الامريكيتين العسكرية والاقتصادية على أوروبا، واكتمال دائرة الأمن الامريكي، وبداية عصر الامبراطورية الامريكية والقرن الامريكي الجديد.

أخيرا، ما يمكن ان يقال في هذا المجال: هو ان الانظمة والحكومات العربية لا تمتلك اليوم أية وسيلة تحمي بها نفسها ودولها وشعوبها من هذه الهيمنة الاستعمارية العولمية الجديدة، سوى ان تفتح قنوات التواصل والاتصال والتلاحم مع شعوبها والبدء بتشكيل أسس ودعائم قوية في المجتمعات العربية للتكاتف لرفض هذا الاستعمار بجميع أشكاله، وهذا موضوع آخر.

sameera@binrajab.com